الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية

Convincing –Deduction with the Evidence in the Fadak Sermon

أ.د. عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي

Prof. Dr. `Ahud `Abidalwahid `Abidalsahib Al-`Akeili

الاسْتِدْلَالُ الإِقْنَاعِيُّ بالشَّاهِدِ في الخُطْبَةِ الفَدَكِيَّةِ

Convincing – Deduction with the Evidence in the Fadak Sermon

أ.د. عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي
جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية–ابن رشد / قسم اللغة العربية

Prof. Dr. `Ahud `Abidalwahid `Abidalsahib Al-`Akeili
University of Baghdad / College of Education for Humanist Sciences - Ibn Rushd / Department of Arabic

uhoudalaqyly@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٤/ ١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٦/ ٣/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

كان الإقناع أظهر ميزة لخطاب أهل البيت ﷺ ، وقد ظهر جليًا في موروثهم الذي تميز بعلو بلاغته وتكامل آلته ؛ ليوقنَ الناس بأفضليتهم دينا وخلقا وسيرةً ومنطقا؛ وليصبحوا أسوةً حسنةً ومنهجاً لتطبيق دين رُقِيِّ الحياة وليس دين التلفُّظ بالكلمات ،ولاسيما السيدة الزهراء ﷺ، فكان الإقناع ملازما لها ولم يكن اعتباطا بروزه في موروثها اللفظي كالخطبة الفدكية وتأثيرها في سامعيها عند إلقائها ، أو فيمن سَمِعَهَا أو قَرَأَهَا في مختلف العصور حتى الوقت الحالي ، وكانت تلك الميزة في لسانها انعكاسا لميزة الإقناع في كل ما نقل عنها من موروث حياتي ، عبادي أو اجتماعي .

وقد وجدت في هذه الخطبة ضالتي لأسلط الضوء على رافد إقناعي لا يمكن الاستهانة به وهو الاستدلال بالشاهد سواء أكان قرآنيا ـ وهو كثير جدا ـ أم حديثياً ـ وهو قليل جداً ولكن لا يجوز إغفاله ـ أم أمثالا عربية وهي متوسطة بين الكثرة والقِلَّة ، وقد دَخَلَتْ في الخطبة كلها ولاسيما الاستدلال القرآني فلا نجد سطرا يخلو من روح القرآن الكريم وألفاظه والتناص المتطابق معه أو الآخذ من فيوضاته القدسية بعض نصِّه والكثير من معانيه ؛ للإفادة منه تركيبا وصوتا وتصويرا ؛ لتكون فحوى هذه الآيات وما احتوته من أدلَّة دامغة حاضرةً في الخطبة وملازمةً لقوة استدلال السيدة ؛ ورغبت في تناول ذلك من خلال هذا البحث الموسوم بـ ((الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية)) ؛ لأكشفَ جانبا من طاقات الإقناع فيها ، وقد وقع في مبحثين :

المبحث الأول الاستدلال الذي بني عليه التركيب وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم.

المبحث الثاني الاستدلال الذي بني عليه التصوير وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم والمثل العربي في رسم صورة المسلمين الذين غمطوا حقها .

وقد ختمت البحث بخاتمة أبرزت أهم نتائجه ، وأعقبتها بقائمة للهوامش والمصادر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Abstract

Ahlal-Bayt (peace be upon them) distinguishes themselves as adapters of persuasion in dealings and speeches, characterized by high eloquence to attract attention. Their morals, logic and behavior act as evidence of their affiliation to the Prophet Muhammad and as an example. Here comes Fatima Al-Zahraa, peace be upon her, to be characterized by persuasion in her sermons, in her morals, her biography and her good convictions. Such a technique emerges in the sermon of Fadk, facilitating the necessities of communication about her ideas and employing Quranic evidences, her father's speech, the Messenger of Allah and Arab proverbs. As such the current paper comes as (evidence of persuasion rhetorical sermon Fadak Fatima Zahra (peace be upon her), Convincing –Deduction with the Evidence in the Fadak Sermon. To detect the power of persuasion, the research is bifurcated into two chapters:

Chapter I: The evidence based on the structure shows the influence of the Glorious Quran. Chapter II: The evidence based on photography does the influence of the Koran and Arab proverbs in portraying the image of Muslims who denied the right of Fatima Zahra peace on them .The research concludes with the most important results and a list of margins and sources.

المقدِّمة

حين أفكِّر في وُجُودِ السيدة الزهراء عليها السلام وما رَافقهُ مِنْ مُجْمَل أمور خصَّها الله بها ، ولا يعلم أسرارَها إلا هو سبحانه ومَنْ عندهُ عِلْمُ الكتاب من الراسخين في علم الله ، أُدركُ أنَّ الله تعالى أرادها أن تكون حجَّة على العالمين بما احتوته من صفاتٍ وما حملته من آياتٍ وما اشتملت عليه من خصائص وعلوم بيِّناتٍ فاستحقَّت بذلك أن تكون سيدة نساء العالمين بجدارة ليس لانتسابها للرسول الأكرم وحسب ، إنَّما لصفاء روحها وفطرتها ، وَلِحَمْلِها خصالَه العظيمة وأخلاقه المستقيمة ، وللمستوى العرفاني الكبير من معرفة الله تعالى وتوحيده وإدراكها ماهية الخلق وفلسفة الوجود وَرُقِيّه الحضاري وشجاعتها المنقطعة النظير ، وظهر ذلك في تصرُّفها ومنطقها فاستحقَّت أن يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها ويذهب عنها وعن أهل بيتها الرجس ويطهِّرهم تطهيرا ، وما ذاك إلاَّ رحمة بنا ؛ لأنَّها قطب من أقطاب عِدْل القرآن ، وهم رسول الله وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم أجمعين الترجمان العملي لما ورد في كتاب الله من أحكام وما حثَّ عليه من فضائل ؛ لذا كان الإقناع أظهر خصيصة فيهم جميعا ولاسيما في السيدة الزهراء عليها السلام ؛ ليوقنَ الناس بأفضليتهم دينا وخلقا وسيرةً ومنطقا؛ وليصبحوا أسوةً حسنةً ومنهجاً لتطبيق دينَ رُقِيِّ الحياة وليس دين التلفُّظ بالكلمات ، فكان الإقناع ملازما لها ولم يكن اعتباطا بروزه في موروثها اللفظي كالخطبة الفدكية وتأثيرها في سامعيها عند إلقائها ، أو فيمن سَمِعَهَا أو قَرَأَهَا في مختلف العصور حتى الوقت الحالي ، وكانت تلك الميزة في لسانها انعكاسا لميزة الإقناع في كل ما نقل عنها من موروث حياتي ، عبادي أو اجتماعي .

ولَمَّا كانت هذه الخطبة شاغلة فكري بعظيم مقاصدها وبديع معانيها والتأنّق في مبناها وبعيد مرماها ، والوصول من خلال إلقائها في ذلك الجمع الذي احتشد لسماعها إلى الأهداف التي خرجت السيدة من أجل إيصالها ؛ لذا وجدت الفرصة سانحة لإبراز ألوان الإقناع فيها وسلوك سبيل آخرغير السبيل الذي سلكه الباحثون قبلي إذ تناولوا هذه الخطبة في مناحٍ أخرى على وفق المناهج الحجاجية او اللغوية التي تناولتها من منظور لسانيات الخطاب أو البعد التداولي في ضوء نظرية أفعال الكلام[1] في ضوء تحليل آثارها الأسلوبية ودلالاتها التركيبة ، وإن لم استطع التطرُّق إلى روافده كلها ؛ لأن ذلك يحتاج مجالا أوسع وصفحات أكثر قد تغطِّي كتاباً ؛ لذا سأقتصر على طريق إقناعي لا يمكن الاستهانة به وهو الاستدلال بالشاهد سواء أكان قرآنيا ـ وهو كثير جدا ـ أم حديثياً ـ وهو قليل جداً ولكن لا يجوز إغفاله ـ أم أمثالا عربية وهي متوسطة بين الكثرة والقِلَّة ، وقد دَخَلَتْ في الخطبة كلها ولاسيما الاستدلال القرآني فلا نجد سطرا يخلو من روح القرآن الكريم وألفاظه والتناص المتطابق معه أو الآخذ من فيوضاته القدسية بعض نصِّه والكثير من معانيه ؛ للإفادة منه تركيبا وصوتا وتصويرا ؛ لتكون فحاوى هذه الآيات وما احتوته من أدلَّة دامغة حاضرةً في الخطبة وملازمةً لقوة استدلال السيدة ؛ ورغبت في تناول ذلك من خلال هذا البحث الموسوم بـ ((الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية)) ؛ لأكشفَ جانبا من طاقات الإقناع فيها ، وقد أفدتُ ممَّا توافر منها في البلاغة العربية التي أفاض فيها علماؤها ممَّن نظروا إلى البلاغة بوصفها إقناعا وإمتاعا في الوقت نفسه كالجاحظ ت٢٥٥هـ وعبد القاهرالجرجاني ت ٤٧١هـ والسكاكيت٦٢٦هـ في قسم مما استقرَّ على يديه ،وقد تناوله وفصَّله الخطيب القزويني ت ٧٣٩هـ ، وأوليت الاستدلال بالشاهد القرآني والمثل العربي

اهتماما كبيراً ، مُنْطَلِقَةً من مقولة تجعل قوة البلاغة في ارتباطها بالإقناع ، وأنَّ فهمها في معناها النَّسَقِي العام يفتح آفاقا جديدةً وخِصْبَةً أمام البحث العلمي، ولاسيما عندما يركِّزعلى منطقة التفاعل الذي يحصل بين أطراف ثنائيات عديدة: المتكلم/ المخاطب، النص/ المقام، الحجة/ الصورة، الشكل/ المضمون... الخ ، وأن عودَةَ تأثيرِهَا السابق يعني إعادةَ الاعتبار للبعد الحجاجي، والاهتمامَ بتقنيات الإقناعِ المؤثرِ، وعدم حصر البلاغة في الأسلوبي والشعري ، كما نادى بذلك د. حسن المودن في مشروعه البلاغي[٢] وقد وجدت أنَّ السيدة وظَّفت طاقات اللغة ، وأكدت العقل فهو الذي يصوغ الحجج المقنعة للتأثير في السامع ، وهو الجانب الأهم في الخطبة ، والوجدانُ يستميلُ الأنفُسَ من خلال براعة الصياغة المؤثرة[٣].

وقد حَشَدَتْهَا في هذه الخطبة بما يستقطب انتباه المتلقي ويجعله مؤمناً بما قدَّمَتْه مِنْ حُجَجٍ مُقْنِعَةٍ تَدُلُّ على أحقِّيَّتها بما تُطَالبُ به وقد قويَتْ تلك الحجج من خلال الاستدلال بما يؤمن به المتلقي وبرعت السيدة في إدخاله في التركيب والتصوير والصوت ؛ لتجلب ما تكوَّن فيه من جمال وإقناع لخطبتها .

وقد لمستُ في استدلالها إثراءها لفاعلية الحوار الذي أجرتْهُ مع المخاطب ودَخَلَتْ بشكلٍ واضحٍ منطقةَ قناعاتِهِ التي كانت مُلِمَّة بروافدها ومستوياتها بما أظهر قابليتها على التواصل والتأثير في المتلقين فكان المخاطبُ مَحَطَّ عنايتها سواءٌ أكان الخليفة الأول عند حواره المباشر و الأنصار عند وَصْفِهِمْ بالقوة والمناصرة في وقت الدعوة والتخلِّي عن ذلك بعد التحاقِ أبيها رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، أم جمهور المستمعين الذين أشاروا على الخليفة بحرمانها من الإرث ـ على حدِّ إخباره لها بذلك ـ أم سامعي الخطبة على امتداد العصور الذين اهتمُّوا بفهم الغاية من ظهور الزهراء وإلقاء خطبتها وسط غليان الأحداث وقتئذٍ .

لذا سيكون ميدان بحثي دائرا حول مبحثين :

المبحث الأول الاستدلال الذي بني عليه التركيب وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم.

المبحث الثاني الاستدلال الذي بني عليه التصوير وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم والمثل العربي في رسم صورة المسلمين الذين غمطوا حقها .

وسأختم البحث بخاتمة تبرز أهم نتائجه ، وأعقبها بقائمة للهوامش والمصادر

إنَّ الغوصَ في بحر بلاغة السيدة الزهراء ﷺقد يغرقُ الغوَّاصَ ؛ لبُعْدِ غَوْرِهِ وَشِدَّةِ أمواجِهِ ، وقد يُعِيْنُهُ على استخراج لآلئه إنْ تَمَكَّنَ مِنْ أدواته وكتبَ اللهُ له السَّدادَ ؛ لصدق نيَّتِهِ وجِدَّةِ مُحَاولتِهِ ، وهذا البحث كلَّفني سهرا كثيراً وتأمُّلا طويلاً ووقتا في المراجعة والقراءة في المصادر المتنوعة يستحقُّه مأثور الزهراء الفريد .. عسى الله أن يوفِّقني لأكون من المفلحين في محاولتي وعليه قصد سبيلي ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

التمهيد :القرآن الكريم في حياة الزهراء عليها السلام

جعل الله تعالى أهل البيت عليهم السلام عدلا للقرآن الكريم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((يا أيُّها الناس إني قد تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا مـا إن تمسَّكتم بهما كتاب الله وأهل بيتي ، فإنَّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض كهاتين ـ وجمع بين سبَّابتيه ـ لا كهاتين ـ وجمع بين سبَّابته والوسطى ـ لأنَّ إحديهما قُدَّام الأخرى فتمسَّكوا بهما لا تضلُّوا ولا تولَّوا ولا تَقَدَّموهم فتهلكوا ولا تعلِّموهم فإنهم أعلم منكم))[٤] .

فهم أعلم الناس بالقرآن الكريم الذي له تأثير كبير في إقناع السامعين ؛ لأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولأنَّ المسلمين جميعا مجمعون على كونه حجةً لا نقاش في صحتها ، ومتفقون على قبول ما جاء فيه من غير جدال . ولما كانت السيدة الزهراء عليها السلام قد حفظته حفظ درايةٍ وتدبُّر وإتقان وتبصُّر ؛ لذا اتضح ما يأتي :

ـ ظهوره في خطابها كان كبيراً، أقنع السامعين بقوَّة حُجَّتها وأحقِيَّة مطالبتها وتذكيرهم بأن من تخاطبهم هي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله يجري فيها دم رسول الله وتنطق وتفرغ على لسانه الكريم .

ـ معرفتها الكبيرة أهمية هذا الكتاب المقدس وقوة مضامينه الحجاجية ؛وقد وصفته في هذه الخطبة مشيرةً إلى أنه معهم ويحمل أسرار وجودهم بقولها ((كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ الله المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ

المَكْتُوبَة))[٥]، وقالت أيضاً ((ومعنا كتاب الله بيِّنَةٌ بصائِرُهُ وآي فينا منكشفة سرائره وبرهان منجلية ظواهره مديم البرية أسماعه قائداً إلى الرضوان أتباعه مؤد إلى النجاة استماعُهُ فيه بيان حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذِّرة وبَيِّنَاته الجالية وجُمَله الكافية وفَضَائله المندوبة ورُخَصِه الموهوبة وشرائعه المكتوبة))[٦]

فقد أكَّدت احتواءه الحُجَج التي تبيِّن أهميتهم وتثبت حقوقهم .

ـ ظهر القرآن الكريم في خطاب السيدة لتذكِّرَ المتلقِّين بما حواه كتاب الله من الصلاة على أبيها رسول الله وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم في قوله تعالى : (إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب : ٥٦) ، وما صرَّح به من صدقهم وتنزيههم عن الرجس والنص على تطهيرهم المؤكد بالمصدر في قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب : ٣٣) ومن ثم فهي تلقي عليهم حججا من نص إلهي أكَّد صدقهم فكيف يكذبهم البشر؟!.

ـ اتحاد غرض الخطبة وهو إصلاحُ أمر خاطئ قام به المسلمون ـ وهو مخالفة أوامر الرسول على قرب دعوته لذلك ـ مع الغرض الأكبر للقرآن ، يقول الطاهر بن عاشور : ((إِنَّ الْغَرَضَ الْأَكْبَرَ لِلْقُرْآنِ هُوَ إِصْلَاحُ الْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا، فَإِصْلَاحُ كُفَّارِهَا بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَنَبْذِ الْعِبَادَةِ الضَّالَّةِ ،... وَإِصْلَاحُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوِيمِ أَخْلَاقِهِمْ وَتَثْبِيتِهِمْ عَلَى هُدَاهُمْ وإرشادهم إِلَى طرق النَّجَاحِ وَتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَغْرَاضُهُ مُرْتَبِطَةً بِأَحْوَالِ الْمُجْتَمَعِ فِي مُدَّةِ الدَّعْوَةِ))[٧] ولبروز خاصية الإقناع في القرآن الكريم ؛ التي تجلَّتْ في طاقات التركيب الواردة فيه المحتوية على العدول ، ((فالعدول في الكلام القرآني ليس الغاية أن يكون الكلام جميلا وإنما الغاية أن يكون كلاما حجاجيا مقنعا بوجه من الوجوه ، إنَّ الكلام في القرآن عدول حجاجي أو من أجل الحجاج))[٨]

المبحث الأول الاستدلال بالشاهد القرآني والحديثي الذي بُنِيَ عليه التركيب

لابُدَّ أنْ يكونَ المتكلم مقنعاً في هيأتِهِ وشخصِهِ ، كما لابدَّ أن تجتمع فيه آلةُ البلاغة وكان هذا واضحا عند السيدة الزهراء ﷺ التي امتلكت ناصية البلاغة قال الجاحظ : ((أول البلاغة[٩] اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة))[١٠] ، فالخطيبُ المتمكِّنُ هو الواثق من نفسه الذي تبدو عليه السَّكِيْنَةُ ويكون ثاقب النظرات ، عارفا بمستوى السامعين فيكلمهم بما يفهمون ويحاججُهُم بما يقتنعونَ بهِ وهذا ما تَحَلَّت به السيدةُ الزهراءُ ﷺفقد عرفتْ أنَّ من تخاطبهم وهم الخليفة الأول أبو بكر الصديق ومَنْ حوله من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، وبقِيَّة المسلمين ومنهم الذين أشاروا على الخليفة بِحِرمانها ، وقدَّرَتْ مستوياتِهم فخاطبَتْهُم بما يفهمون وانطلقت من منابع ثقافاتهم فمزجت بعضاً من مكوِّناتها بحديثها وحججها واستعانت بها في رسم صور للحالات التي احتاجت تصويرها، بحيث يفهمون مقاصدها ومرامي حوارها وسأوضح ذلك من خلال تحليل نصوصها التي وظفت بها الاستدلال الإقناعي بالشواهد تركيبا وسياقا وتصويراً ، الملاحظ على هذه الخطبة العناية الكبيرة بأساليب التركيب وانتقاء ألوان منه تجذب انتباه المتلقين ؛ لأنها أكثر وسائل البلاغة الإقناعية أثرا في لفت الانتباه وزيادة درجة الإقناع ، وقد بدا لي استعمال مختلف الأنواع ؛ وقد تداخلت بعضها مع بعض بحيث يصعب فصلها ، واستثمرت طاقاتها الإيحائية والإقناعية ؛ ليتعدد تأثيرها ، ولقد وصلت عليها السلام ذروة البلاغة في انتقاء التراكيب لما يناسب الموضوع الذي تلجُ بابه حتى حيَّرت من يبحث في أسرار بناء تراكيبها وأذهلته ببلوغها المرتبة الرفيعة في توظيف الصيغ البلاغية بمستوياتها كافة وأبهرته بجميل التمكُّنِ في ذلك وقد تنوَّع الاستدلال بالشاهد القرآني في خطابها وتعددت طرق

الإفادة منه وكان إيرادها للآيات الكريمة حسن بديع يقوي كلامها، ويُحْكِمُ نظامها، ولاسيما أنها استعملته فيما وضع من أجله في المواعظ، وتوصيف أحكام الدين وأقوال الحكمة، ومقالات الدعوة إلى الله تعالى والإرشاد إلى الطريق المستقيم [١١] .

ـ استعمال أساليب الطلب كالأمر في نسق الخبر الابتدائي الخالي من التوكيد

ـ عندما أمَرَتْهُم بطاعة الله من خلال الاقتباس بالمعنى في قولها : ((وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه))[١٢] مستفيدة من آيات كريمة أمرت بطاعة الله مثل قوله تعالى : (وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الأنفال :١) وقوله أيضا :(وَأَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (المائدة : ٩٢) ، وأرى أن إفادتها هنا من المعنى دون النص لضرورة ؛ لأنَّ الآيات كلها التي أوردت طاعة الله قرنتها بطاعة الرسول ، وهم قد عصوا الرسول ؛ لذا لم توردها لتؤكد هذا المعنى ، لذا اضطرت إلى المجيء والمطالبة بحقها ، معلِّلة لزوم الطاعة بخشية العلماء من الله فإنه (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) «سورة فاطر : ٢٨» ، وهم على غير هذه الحال .

ـ الاستدلال بالشاهد القرآني في أساليب التوكيد

يدخل الشاهد القرآني في بنى أساليب التوكيد المختلفة ؛ لإزالة الشك والإنكار من أذهان مخاطبيها وإثبات صواب رأيها :

ـ استعمال«كلا» مع الاستدراك بـ «بل» في قولها : ((كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم))[١٣] موظفة معاني الآية (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين ١٤) ، وما بعدها من الآيات التي يستحضرها من حفظ السورة : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (المطففين ١٥-١٧) : وتجعلها حاضرة في

أذهان المخاطبين ، وقد أحسنت السيدة باستعمال "ما أسأتم " بدلاً عن" مَا كَانُوا يكسبون" ؛ لأن ما قاموا به لا كَسْبَ فيه بل إساءة واضحة .

ـ الاستدلال الإقناعي بالشاهد القرآني في بنية الإطناب التركيبية :

برز الإطناب في الخطبة الفدكية في موارد شتى : في شرح ثوابت الدين وبيان ماهيته وعلل شرائعه ، لتوضِّح للمتلقين أنهم لم يفهموا معاني العبادات ولم يذوقوا طعم الطاعات فعلَّلت لهم ذلك بمثل قولها : ((وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون))[١٤] ،والحقيقة أنني أتنسَّم عبق القرآن الكريم في مواضع من هذا القول :

ـ في أسلوب الأمر بلزوم تقوى الله في قولها : ((فاتقوا الله حق تقاته))

في أسلوب النهي عن الموت على الكفر ((ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) ،وكلا الأسلوبين أساسهما بناء قرآني واقتباس نصي من قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(آل عمران ١٠٢) غير أنها أتت بالفاء السببية التي احتاجها النص لتكون الآية مبينة للعلة من إيضاح أهمية التوحيد الإلهي .

وأوردت السيدة الشاهد القرآني في إطناب ثالث عند تعريفها بنفسها والإشارة إلى كونها بنت رسول الله ﷺ مذكِّرة بأثر الرسول في الأمة وكيفية تعامله مع الناس بشهادة الله تعالى : ((قالت أيها الناس اعلموا: أنِّي فاطمة وأبي محمد ﷺأقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة : ١٢٨))[١٥] فقد جاء الشاهد القرآني ؛ ليفصِّل ما كان مجملا في« أبي محمد» ، إذ عرَّف النص أباها الرسول بما لا يدع مجالا للشك في أهميتها وصدق ما جاءت به .

المبحث الثاني : الاستدلال بالشاهد الإقناعي الذي بُنِيَ عليه التصوير

ولهذا الاستدلال أهمية كبيرة في رسم الحالات المراد التعبير عنها وتوصيفها وتقديمها بصورة محسوسة ترتاح لها النفوس يقول عبد القاهر الجرجاني:

" إنَّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، تأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي به أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأنَّ العلم المستفاد عن طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام[١٦]، وقد وضحَّت السيدة من خلاله صورة المتخاذلين عن نصرتها وحاولت أن تجعل الصورة أكثر حركة من خلال تعاون مجموعة من الشواهد في ذلك الرسم ؛ ليكون أكثر تعبيرا ووضوحا . ومن أبرز ما ظهر الآتي :

ـ الاستدلال الإقناعي بالشاهد القرآني في الوسائل التصويرية داخل بنية الإطناب

أولاً: ـ دخولها في التصوير الاستعاري

قد تأتي الحجة القرآنية بعد وصف دخلت فيه الاستعارات التي اتَّسمتْ بِالتجسيدِ تارة وبالتشخيص تارة أخرى ،من ذلك قولها : ((أتقولون مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل استوسع وهيه ، واستتهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكُسِفَتِ النجوم لمصيبتِهِ، وأكْدَتِ الآمال وخشعتِ الجبالُ ، وأضيعَ الحريمُ ، وأزيلتِ الحُرمةُ عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله ـ جلَّ ثناؤه ـ في أفنيتكم في مُمساكُمْ ومُصبحكُمْ هتافاً وصُراخاً وتلاوة وإلحاناً ، ولقبله ما حلَّ بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل ، وقضاءٌ حَتْمٌ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ)(آل عمران : ١٤٤) [١٧] فقد فصَّلت السيدة بجمل اسمية تضمَّنت الإطناب بالشرح والتوضيح وجعلت تلك الجمل جوابا عن استفهام حوى نصهم عن موت أبيها فهو خطب جليل حلَّ بالأمة ورسمت صورة له بجمل نعتية حوت ألفاظا تدل على الأمر الشديد هي «استوسع وهيه »، و«استتهر فتقه» ، و«انفتق رتقه» ثم بيَّنت أن الحزن عليه يشمل الكون كله وليس البشر وحدهم « وأظلمت الأرض لغيبته ، وكُسِفَتِ النجوم لمصيبتهِ، وأكْدَتِ الآمال وخشعتِ الجبالُ » بعدها عادت لوصف آثار ذلك« وأضيعَ الحريمُ ، وأزيلتِ الحُرمةُ عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله ـ جلَّ ثناؤه ـ في أفنيتكم في مُمساكُمْ ومُصبحكُمْ هتافاً وصُراخاً وتلاوة وإلحاناً » وختمت ذلك بالشاهد القرآني الذي يستنكر على الأمة عودتها إلى الضلال بمجرد سماعها خبر موته وقد أوردت الآية استعارة تمثيلية وهي «ينقلب على عقبيه» حيث شبه الله حال من يرتد عن الإسلام بحال من ينقلب على عقبيه، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به ففي هذا القول : ((زِيَادَةُ تَأْكِيدٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى مَا كَانَ وَرَاءَهُ لِأَنَّ الْعَقِبَيْنِ هُمَا خَلْفُ السَّاقَيْنِ أَيِ انْقَلَبَ على طَرِيق عَقِيبه وَهُوَ هُنَا اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ لِلارْتِدَادِ عَنِ الْإِسْلَامِ رُجُوعًا إِلَى الْكُفْرِ السَّابِقِ))[١٨] فكانت هذه الاستعارة أساسا في بناء تصوير السيدة لحال الحاضرين في المجلس .

ثانيا : ـ الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية :

تستعمل السيدة الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية مع كنايات أخرى تصف بها عملا عظيما كما في وصفها جهاد أبيها رسول الله ﷺ: ((فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يجف الاصنام وينكث الهام حتى

انهزم الجمع وولوا الدبر))[١٩] .

فقد كنَّت السيدة عن صفة التبليغ التي أنذرت القوم بعذاب أليم إن لم يؤمنوا بقولها «صادعا بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين » مستوحية من ألفاظ آية من القرآن الكريم ومعانيها وهي قوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (سورة الحجر: ٩٤) ، وأتبعت ذلك بكنايات أخرى تبيِّن شدته في جنب الله تعالى وإعلاء دين الله بقولها :« يجف الاصنام وينكث الهام» للدلالة على تكسيره الأصنام وقتله الكافرين بشدة ، مستعينة بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية في قولها« حتى انهزم الجمع وولوا الدبر »فقد استحضرت قوله تعالى : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)(سورة القمر :٤٥) الذي وردت فيه الكنية عن الإدبار في « يولون الدبر»[٢٠]وغيَّرت السيدة زمن الفعلين الواردين في الآية من الحاضر إلى الماضي ؛ لأنها كانت تتحدَّث عن أول زمن التبليغ وقد ذهبَ ، فمن حسن مراعاة المقام حصول هذا التغيير ليكون أكثر ملاءمة .

ثالثا : ـ الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية وإدخاله مع وسائل تصويرية أخرى .

ورد في الخطبة كنايات متتابعة صورت ظهور الحق وزوال الكفر والنفاق على يدي أهل البيت ﷺ ((حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الخِماصِ))[٢١] وتوضيحها أنّ :" تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ" وَ"أَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ " كنايتان عن صفة جلاء الأمور ووضوحها وسيطرة الحق .

«وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ»، وَ«خَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ» ، «وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ» ، وَ«انْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ»،أربع كنايات عن ظهور الدين وسيطرته وذهاب الكفر

والنفاق .

"وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ" كناية عن الإسلام اللفظي للمخاطبين الذي أكدته بقولها و"فُهْتُمْ"وفي قولها « فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الخِماصِ» كناية عن أهل البيت الذين تم بجهودهم إسلام هؤلاء الحاضرين .

ـ ثم قالت : (((وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ)، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِينَ، (تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ)))[٢٢]

لقد عززت السيدة الكنايات السابقة بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية أيضا في : ((وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ)(آل عمران : ١٣٠)؛ ورفدتها بالاستدلال بالأمثال ؛ لما لها من أهمية إذ تدخل في التمثيل والاستعارة التمثيلية فقد استعملتهما السيدة أو ما يصب في إطارهما أداةً للربط بين ما حصل معها ، و حالات ضربت من أجلها الأمثال وقد وظَّفت ذلك في خطبتها لتوضيح حالات أرادت كشفها تجلَّت في أوصاف جاحدي حقها ، وما ذاك إلا لأهمية التمثيل ،يقول عبد القاهر الجرجاني : ((إن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، ...))[٢٣]

وبَيَّن أهمية التمثيل في الحجاج قائلاً : ((وإن كان حِجاباً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر))[٢٤] وقد جعلت السيدة الضمير الدال على جماعة الحاضرين في « كنتم» مشبهاً وما ستورده من أمثال عربية تصفهم من خلالها مشبهات بها ، وهي « مُذْقَةَ الشّارِبِ» ، «وَنُهْزَةَ الطّامِعِ» ، «وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ»، وَ«مَوْطِئَ الأقْدامِ»، وهذه الأمثال تدل على صغر المكانة والهوان وضعف الحال وشظف العيش ،فـ « مذقة الشارب » أي الشربة القليلة للشارب المتعجل الذي يرضى بالقليل وهو مثل

(يضرب للقنوع بالقليل)[٢٥].

"وَنُهْزَةَ الطّامِعِ" أَي هُم((صَيْدٌ لكلّ أحد)) مثل يضرب لسهولة السيطرة عليهم وكثرة الطامعين بهم[٢٦]والملاحظ على بنائها أنها ذات إسناد اسمي ؛ لتدل على الثبات والدوام ، وقد تبعت ذلك بخبرين لـ «كان» هما جملتان فعليتان في "تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ"، و"تَقتاتُونَ الْوَرَقَ"، بعدها أفادت من الاستدلال بالشاهد القرآني بشكلين :

أحدهما : الإفادة من لفظه ومعناه : في «أَذِلَّةً خاسِئِينَ» اذ استحضرت الآية الكريمة (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)(سورة النمل : ٣٧) .

والآخر : الاستدلال النصي الكامل في ((تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ)) فقد أوردت الآية الكريمة (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ)(سورة الأنفال : ٢٦).

فعزَّز الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية رسم صورتهم قبل جهود أبيها ؛ زيادةً في توضيح أثر دعوة رسول الله ﷺ، وأثر دينه في نقلهم إلى الارتقاء العقلي والحياة الحضرية .

ـ الاستدلال بالشاهد القرآني المعزِّز لدلالات التركيب والسياق والتصوير

من دلالات التمكن في الاستدلال الإقناعي بالشاهد القرآني لدى السيدة هو دخوله معزِّزا للدلالات المتعددة المجتمعة معا ، حين تريد الزهراء عليها السلام لحجتها أن تصل إلى ذروتها تهيئ الآليات المتعانقة المتداخلة مع بعضها لتكون أكثر إقناعا ومنها إدخال الاستدلال القرآني المبني على الاستفهام مع ما تعارف عليه البلاغيون بالمذهب الكلامي ، وهو : ((إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق))[٢٧] ، فالمتكلم يحتج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه وسُمِّيَ بالكلامي ؛ لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية [٢٨]

وقد وجدت السيدة في محاججة المخاطب وهم الخليفة والأنصار قد أكثرت منه في قولها : ((أيها المسلمون: أغلب على ارثي ؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا ارث أبي ؟ لقد جئت شيئا فريًّا))[٢٩] مبتدئة بالنداء« أيها المسلمون "الذي تبعته مباشرة بالاستفهام: « أغلب على ارثي ؟» وتكررت الصورة في : «يا ابن أبي قحافة» «أفي كتاب الله ترث أباك ولا ارث أبي ؟» فقد جاءت بمجموعة من الجمل الإنشائية المؤدَّاة بالاستفهامات الإنكارية في سياق القياس في قولها ((أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي)) وأعقبتها بوصف تصرُّف الخليفة ((لقد جئت شيئا فريًّا))بالإفادة من النص القرآني : (قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) (سورة مريم : ٢٧) مع تحوير جهة الخطاب من المخاطب المؤنث إلى المذكَّر؛ ليلائم السياق ، والملاحظ أنَّ استفهامها حوى الإشارة إلى القرآن في قولها ((أفي كتاب الله)) ليدل على اعتمادها المرجعية القرآنية في الاحتجاج المفضي إلى الاقتناع ، وفي النص نفسه أوردت مباشرة استفهامات متتالية احتوت الشاهد القرآني في تركيب استفهام والتصريح بمخالفة كتاب الله وتصويره من خلال الاستدلال بالشاهد القرآني عند مخاطبة جمهور المتلقين الحاضرين في قولها :

((أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟))[٣٠] وقد وظفت قول الله تعالى (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)(هود ٩٢)وقوله : (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ)(سورة الأنعام : ٩٤) ، إذ أخذت من ألفاظ النصين ما رسمت به صورة لمعنى الترك المتعمد وقد نصَّت على لفظ«عمد» ؛ لتؤكد أن الترك كان متعمدا ومن غير مبالاة بما في القرآن من أحكام ، أو خوف من تبعات ذلك .

((ونكتة توحيد جمل المقطع بأداة استفهام واحدة لأنهن متصلات بموضوعة

خطاب مقام الحجاج الحالي بشخص واحد ...))[٣١] وهو الخليفة ، وربما كان ذلك لأن مدار الحل والربط مرتبط بسلطته .

وقد تتالت الاستفهامات المحتوية على ألفاظ (كتاب الله) و(آية) و(ملَّة ، وملَّتين) الدالة على القرآن أو بعضه أو ما ينتج عنه لتعزيز الاحتجاج به وبمن حمله وهو رسول الله ﷺ الذي كررت ذكره مرتين بلفظ «أبي» ؛لدحض ما جاءوا به ؛ لأن القرآن نزل على أبيها ومنطق العقل يرفض ما تساءلت عنه ـ وهو معلوم الجواب لدى الجميع ـ فلا آية نزلت على غير الرسول ، ولا أحد أكثر علما منه ومن زوجها أمير المؤمنين لقول أبيها ﷺ: ((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بَابِه))[٣٢] لكنها أرادت إثبات خطأ ما قام المخاطبون به بالحجة العقلية: ((أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟))((أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان ؟))((أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟))

((أم انتم أعلم بخصوص القرآن من أبي وابن عمي ؟ ...))[٣٣] وهذا النص يحيلنا إلى نصوص أخرى تؤكد علم أهل البيت ﷺ كقول أمير المؤمنين ﷺ مبيِّنا طريقة تلقُّفه القرآن من رسول الله ﷺ حيث يقول : ((وكنت أدخل على رسول الله ﷺ في كل يوم دَخْلَةً وفي كل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول الله ﷺ.... فإذا كان في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة ولا احد من ابنيَّ))[٣٣] مما يدل على مقدار علم أهل البيت ﷺ بالقرآن الكريم ، ومما يدل عليه أيضا ما نقله الإمام جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عن رسول الله ﷺ :((إنَّ أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ألا وإنا من أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وان تتبعوا آثارنا

تهتدوا ببصائرنا وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق ألا وإن بنا ترد دبرة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم وبنا فتح وبنا ختم لا بكم))[٣٤]

وهذه النصوص إن دلَّت على شيء فإنما تدل على علم أهل البيت الذين استحقوا بجدارة أن يكونوا عدلا للقرآن .

ـ الاستدلال بالمثل والحديث الشريف المسبوق بوصف.

وظفت السيدة الاستدلال بالشاهد الحديثي في إطار التركيب القائم على الاستفهام لإثرائها بنية الإقناع في معرض لومها المتخاذلين تقويةً لحجَّتها كما في مخاطبتها الأنصار عندما تخلَّوا عن نصرتها ، ممهدة لذلك بالوصف : ((يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ!))[٣٥] الذي قصدت منه اختلاف التصرف عما عرفوا به وجريمة ترك طاعة الله ورسوله ، بعدها أوردت ثلاثة استفهامات كان آخرها الشاهد الحديثي أساس بنية الاستفهام : ((ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟)) أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟))[٣٦] وقد قصدت السيدة إقرار المخاطبين بحججها وتسليمهم بصحة ما جاءت به من أدلة جاعلةً التركيب استعاريا في (وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟) ؛ لتصوير التغافل عن بيان ظلامة السيدة في (وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟) ؛ ورفد مهمتها الإقناعية من خلال حسن التوظيف للوسائل .

ـ بيَّنت سرعة تنصُّلهم عن نصرتها من خلال النص على السرعة واتضحت إفادتها من توظيف المثل في قولها : ((سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً)) : فـ ((عَجْلانَ ذا إهالَةً))[٣٧] وأصل المثل ((أنَّ أعرابية كان لها ابن أحمق فذهب فوجد نعجة عجفاء فاشتراها فقال لأمه: إني اشتريت نعجة سمينة. فلما أخرجها إلى أمه ورغامها يسيل من أنفها قال لها: انظري إلى إهالة ما علفتها! فقالت أمه: سرعان ذا إهالة.))[٣٨]

فلم تكتفِ السيدة بوصف الحالة إنما جعلت المثل والحديث الشريف سبيلا إلى توضيحها وإثبات معناها .

ومن خلال ما تقدَّم تتبين معالم ثقافة السيدة واطلاعها الواسع على الحياة العربية وإفادة السيدة من مؤهلاتها وتوظيفها في تعزيز مستوى الإقناع في كلامها وانعكاسها في حسن الأداء وإتقانه ،بما أقنع الآخرين بحقها ، ويتبيَّن ما لتوظيف النص القرآني من أثر كبير في إبراز علم أهل البيت والتفنن في الإفادة منه ولاسيما عند السيدة الزهراء عليها السلام لتكون حججها دامغة مقنعة لاسبيل لردها مما أعطى أهمية كبرى لموقفها الذي عكسته الخطبة الفدكية بشكل كبير.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الجولة الروحية مع خطبة السيدة الزهراء ﷺوبيان أهمية الاستدلال الإقناعي بالشاهد في تعزيز دلالات هذه الخطبة توصَّلت إلى مجموعة من النتائج أهما :

١-إنَّ موقف السيدة الرافض للظلم قد خطَّ منهجا للثوار رجالا ونساء ليسيروا فيه ويعبِّروا عنه بشكل حضاري وبحجج إقناعية تعكس الطبيعة الحضارية للدين الإسلامي .

٢-إنَّ الدين الإسلامي أعطى للمرأة مجالا كبيرا للتعبير عن رأيها والإفصاح عنه وإن كان مخالفا للسلطة الحاكمة ، واستمعت المجالس لآرائهن بمنتهى الاحترام ، والرد الهادئ لما ورد في أثناء تلك الخطب بما يعكس مدى تأثيرها فيهم .

٣-إنَّ التعبير عن الرأي يستلزم الجمع بين الحياء وقوة الشخصية فلابد من الالتزام بالحجاب الكامل والالتزام بأوامر الله ورسوله في الاحتشام والحياء في أثناء إبداء الآراء .

٤-كشفت الخطبة الفدكية عن عمق علاقة السيدة بالقرآن الكريم وتدبر آياته واستحضارها والتفنن في استعمالها للتعبير عن الرأي وتدعيم الحجج ؛ لإكسابها القوة والإقناع ؛ لأنَّ كتاب الله حجة قوية بإجماع الأمة ولأن العرب على مقربة من عهد الرسول وعلى اطلاع كبير بأحكامه ودلالات آياته .

٥-تورد السيدة الشاهد القرآني بحسب حاجة المقام فأحيانا تورد الآية بالنص إذا كان التغيير فيها ينقص من دلالة الإقناع ، بينما تورده مع شيء من التغيير عندما تستدعي ذلك حاجة السياقات من غير أن يؤثر ذلك في جمال إقناع ذلك الاستدلال .

٦-أظهرت السيدة في هذه الخطبة الأداء الخطابي المتقن ومعرفتها بفنون التعبير في

اللغة العربية وكشفت عن معجم لغوي غني أحسنت استعماله فانتقت الألفاظ المناسبة لكل مقام ،الموحية بالمعنى المراد إظهاره فكانت الألفاظ ذات الجرس القوي للمعاني القوية وللمواقف الصعبة والألفاظ الدالة على الدعة والهدوء للمعاني التي تدل على الراحة والاطمئنان .

٧-لم تستعمل السيدة الأساليب منفردة بل تستعملها عادة مجتمعة ، سواء أكانت تركيبية أم سياقية أم تصويرية ؛ لتجعل روافد الإقناع مجتمعة لإثراء الدلالات التي ساقتها من أجلها .

٨-تجعل السيدة الأساليب المؤثرة متتابعة كما حصل في التركيز على الاستفهامات الإنكارية والكنايات والتشبيهات البليغة ؛لإبراز إنكارها للمواقف المتخذة ضدها مع وضوح حقها بشكل كبير وتغاضي المخاطبين عن إعطائها لها .

٩-تراعي السيدة المقام مراعاة كبيرة ولاسيما عندما تلقي الأخبار فتستعمل كل نوع في موضعه فالخبر الذي لا اعتراض عليه لدى السامعين أو لاعلم لهم به تورده ابتدائيا أي من غير توكيد كما في توضيحها لصفات الخالق أو بيان علل الشرائع ،بينما تورد الأخبار طلبية أو إنكارية بحسب اعتقادها بنسبة الشك عند المتلقين فتزداد المؤكدات تبعا لدرجة الشك والإنكار في أذهانهم .

١٠-أبرزت هذه الخطبة مقدار ثقافة السيدة المجتمعية من خلال توظيف الأمثال العربية وإدخالها في سياقات أثرت دلالاتها وبيَّنت جمال التصوير في رسم صورة المخالفين وسرعة ارتدادهم عن مواقفهم التي كانوا معروفين بها .

١١-حاول البحث إبراز جانب من المستوى العالي لبلاغة السيدة الزهراء عليها السلام الذي يُظْهِرُ قدرات المرأة الإقناعية من خلال الأداء المتقن والخطاب البليغ والإفادة من كل ما يحيط بها من أجل إيصال فكرها بأفضل الصور التي تكشف قوَّة شخصيتها

وثِقَل وجوْدِهَا

١٢- إنَّ ما تَحَلَّتْ به نساءُ أهل البيت ﷺ من القدرة الخطابية والتمكُّن البلاغي وقوة الإقناع لا يقلُّ عمَّا اشتهر به رجالهم ، نتيجة فسح المجال لهؤلاء النسوة أنْ يوظفْنَ ثقافتهُنَّ في خدمة قضاياهنَّ ، ولابد أن يكون هذا حافزاً للمرأة الحالية أنْ تَصْقُلَ قريحتَها وتعزِّز قابلياتِها من خلال اقتفاءِ أثرِ الأسوةِ الحَسَنَةِ.

الهوامش:

١-ينظر بحث : بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء د. فاطمة كريم رسن ، ود. خالد حوير (خطبتا الزهراء دراسة في البعد التداولي في ضوء نظرية أفعال الكلام) وكلاهما منشور في مجلة العميد السنة الثالثة ، العدد الأول جمادى الأولى ١٤٣٥ ، آذار ٢٠١٤.

٢-ينظر : بلاغة الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية د. حسن المودن ، موقع ديوان العرب ٢/ ٧/ ٢٠٠٦

٣- ينظر : آليات الإقناع في خطبة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم : ٢٠ .

٤- كتاب سُليم بن قيس الهلالي : ٢ / ٨٩٤ .

٥- الاحتجاج : ١ / ١٢٨.

٦-م . ن : الصفحة نفسها .

٧- التحرير والتنوير: ١ / ٨١ .

٨- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية : ٦٠٤

٩- البلاغة : هي ((إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ...)) البيان والتبيين:١/ ٩٥ ،: أما في الاصطلاح فقد كثر فيها الكلام ومن أوضحه ما أورده ابن رشيق القيرواني : ((إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ...)) وتعني أيضا((أن تفهم المخاطب بقدر فهمه، من غير تعب عليك.)) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ١/ ٢٤٤

١٠- البيان والتبيين : ١ / ٩٥

١١ - ينظر البلاغة العربية ،عبد الرحمن الميداني : ٢/ ٥٣٦

١٢- الاحتجاج : ١/ ١٢٨ .

١٣- م . ن : ١ / ١٣٦

١٤- م . ن : ١ / ١٢٨ .

١٥-م. ن : ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩ .

١٦-أسرار البلاغة : ١٢١ .

١٧-الاحتجاج : ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣ .

١٨-التحرير والتنوير : ٢/ ٢٤.

١٩- الاحتجاج : ١/ ١٢٩ وقد ورد في التذكرة الحمدونية : ٦/ ٢٥٦ .

٢٠- ينظر التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية : ٥٠٢ .

٢١ – الاحتجاج : ١/ ١٢٩

٢٢ – م . ن : الصفحة نفسها .

٢٣– أسرار البلاغة : ١١٥

٢٤– م . ن : الصفحة نفسها .

٢٥ – ينظر مجمع الأمثال : ٢/ ٢٨٧ .

٢٦–تهذيب اللغة: أبواب الهاء والزاي ٦/ ٩٣ . وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٥/ ١٣٥.

٢٧ –البديع في البديع : ٣١ .

٢٨ –ينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ١١٩ .

٢٩– التذكرة الحمدونية : ٦/ ٢٥٦

٣٠– الاحتجاج : ١ / ١٣١ .

٣١– م . ن : الصفحة نفسها .

٣٢ – أسرار خطاب السيدة الزهراء وجمالياته دراسة نفدية تحليلية : ١٥٩

٣٣ –المعجم الكبير : ١١/ ٦٥ ، والمستدرك على الصحيحين : ٣/ ١٧٣ .

٣٤ – الاحتجاج : ١ / ١٣٢ .

٣٥–البيان والتبيين ١ / ٢٣٨

٣٦– الاحتجاج : ١ / ١٣٢ .

٣٧–م . ن : الصفحة نفسها .

٣٨ – وهو مَثَلٌ أوردته كتب الأمثال بصيغ منها سرعان ووشكان وعجلان وكلها تعني السرعة قال الميداني : ((١٧٩٨– سَرْعَانُ ذَا إِهَالَةً سَرْعان: بمعنى سرع ... فيضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته)) مجمع الأمثال : ١/ ٣٦٦ ، وورد في المستقصى في أمثال العرب : ٢ / ٣٠١ ، و زهر الأكَمِ في الأمثالِ والحِكَمِ:٣/ ١٦٦ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الاحتجاج أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، منشورات الشريف الرضي قم المقدسة ، ط١ ، ١٣٨٠ هـ .
- أسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة د. ت .
- أسرارخطاب السيدة الزهراء وجمالياته دراسة نفدية تحليلية، د.حيدر محمد شاكر الجديع ، إصدارات العتبة الحسينية المقدسة دار الكفيل كربلاء المقدسة ، ٢٠١٧
- آليات الإقناع في خطبة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم ، رسالة ماجستير ، خديجة دكمة كلية الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ، الجزائر ،
- البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت : ١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .
- البديع في البديع ، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: ٢٩٦هـ) ، دار الجيل ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م
- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب ،أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : دار ومكتبة الهلال، بيروت ،١٤٢٣ هـ .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ) ، تح: الدكتور حفني محمد شرف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الجمهورية العربية المتحدة ، د.ت .
- التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ،١٩٨٤ هـ .
- التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ) ،دار صادر، بيروت ،ط١، ١٤١٧ هـ .
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د. أحمد سعد محمد ،مكتبة الآداب القاهرة د.ت
- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه

الأسلوبية د. عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ .
* زهر الأكَمِ في الأمثالِ والحِكَمِ ،الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) تح: د محمد حجي، د محمد الأخضر ، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ، ط١ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) ،تح محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ، ط٥ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ .
* كتاب سُليم بن قيس الهلالي ،للتابعي الكبير سُليم بن قيس الهلالي (و٢ قبل الهجرة – ت ٧٦ هجرية) تح محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني ، مؤسسة نشر الهادي ، قم المقدسة ، ط٥ ، ١٤٢٨هـ
* مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ) ،تح محمد محيى الدين عبد الحميد دار المعرفة – بيروت، لبنان، د.ت.
* المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي (ت: ٤٠٥هـ) تح مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠.
* المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢ ، ١٩٨٧ م .
* المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) تح حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط٢ ، د.ت .
* النهاية في غريب الحديث والأثر ،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تح طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
* المجلات والمواقع الإلكترونية
* مجلة العميد السنة الثالثة ، العدد الأول جمادى الأولى ١٤٣٥ ، آذار ٢٠١٤ .
* بلاغة الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية د. حسن المودن ، موقع ديوان العرب ٢/ ٧/ ٢٠٠٦
* البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ،دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت ،ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .